زيارة الأسد لروسيا والتحذير الإيراني المبطن لموسكو

الكاتب : نبيل العتوم

التاريخ : 24 أكتوبر 2015 م

المشاهدات : 4101

هل سيؤدي استدعاء رئيس النظام السوري بشار الأسد إلى موسكو لأزمة سياسية غير معلنة بين طهران وموسكو، نتيجة إدراك بوتين لضرورة تبني مقاربة جديدة مستندة لاستراتيجية فاعلة وعاجلة تضمن خروج روسيا بشكل عاجل من بوابة الأزمة السورية بعد أن اقتنعت بحجم الفشل الذريع الذي اقترفته، وإخفاقها العسكري الكبير نتيجة صمود الشعب السوري البطولي؟

لا شك بأن المفاجأة الروسية بسرعة استدعاء الأسد على عجل مستقلاً طائرة شحن عسكرية، سوف تتسبب في إحداث بيئة صدامية بين موسكو وطهران، على ضوء ما تحمله المواقف الإيرانية التي بدأت تتسرب، وبشكل باتت تعلم فيه بأن موسكو قد توصلت إلى قناعة بأن استمرارها في التورط بالمستنقع السوري سيستنزف قدراتها، ويجعلها تدفع ثمناً كبيراً على مختلف الصعد السياسية، والعسكرية، والاقتصادية.

نتيجة لذلك وعلى الفور تحركت إيران بالمقابل بكامل مؤسساتها، لتدرك خطورة مستجدات الموقف الروسي على مصالح طهران وأمنها القومي، وبدأت باطلاق مواقف تكاد تكون متضاربة، وتعكس هاجس وكابوس تركها وحيدة مع مليشياتها الدموية، لمحاربة ما اصطلحت على تسميته دوماً بالإرهاب التكفيري في سورية.

بداية وصفت طهران لقاء بوتين ورئيس النظام السوري بشار الأسد بالقمة الفاصلة لأعداء سورية، ورأت أن العنوان الرئيسي لهدف هذه القمة هو القضاء على الإرهاب، معتبرة هذه الزيارة بأنها تعكس تحولاً استراتيجياً في مسار العلاقات بين دول الممانعة وروسيا خاصة بعد دخول موسكو وبقوة غير معهودة على خط الأزمة السورية، بطلب من حكومتها لمكافحة الإرهاب الذي بات يشكل تهديداً لإيران وأمنها بالدرجة الأولى.

تقول طهران أن زيارة الأسد تأتي بناء على دعوة من الرئيس بوتين، حيث أحدثت صدمة من العيار الثقيل في الوسطين الإقليمي والدولي.

نتيجة لما حظيت به هذه الزيارة من اهتمام متزايد، وتركت أصداء كبيرة للبحث في دوافعها وأبعادها، معتبرة أن سفر الأسد في مثل هذه الظروف يعتبر تحدياً لكسر العزلة التي حاولت أوروبا وبعض الدول العربية فرضها على سورية، وأنها ستفتح الباب أمام صفحة جديدة فى ملف الأزمة السورية والعلاقات الإقليمية.

لكن سرعان ما انقلب الموقف الإيراني، وبدأ نفسه يثير الكثير من الهواجس والتخوفات من زيارة الأسد، وما سينجم عنها من تسويات قد تعرض مصالح طهران في سوريه والمنطقة للخطر، وهذا ما سوف نبحثه لاحقاً.

أسباب الزيارة: رؤية إيرانية:

التمهيد للهجوم البري الكاسح:

تدعي طهران أن هذه الزيارة جاءت بعد التطورات الملحوظة في الميدان السوري نتيجة للتنسيق الخماسي بين طهران موسكو ودمشق وبغداد إضافة لحزب الله، وكذلك بعد الضربات الجوية الروسية الفعالة ضد التنظيمات الإرهابية، لذا لا بد من لقاء قمة وبهذا المستوى لتقييم الموقف في الميدان، واستباق للتطورات للتحضير لحل الأزمة السورية سياسيا، بعد تحقيق نصر كاسح على الأرض، وبشرت طهران أن القادم من الأيام يخفي الكثير من المفاجآت لما ستتمخض عن هذه الزيارة سواء في الميدانين العسكري أو السياسي، وما ستحققه من نتائج كبيرة ومذهلة تدفع بالعالم ليقف إجلالاً لما حققه التحالف الخماسي.

وضمن هذا السياق أكد القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية اللواء محمد علي جعفري بأن سورية ستشهد خلال الأيام القادمة انتصارات مصيرية كبرى، ومؤكداً أن أمن منطقة غرب آسيا، ومنها إيران "الإسلامية "يعتبر مركزا لانطلاق الثورة الإسلامية، والذي بات يرتبط بشكل مصيري وأساسي بسورية ومحور المقاومة في هذه الجبهة، وأن إيران لن تسمح مطلقاً بإسقاط الدولة السورية، انسجاماً مع أوامر خامنئي بأن سورية باتت تعتبر الخط الأمامي لجبهة الثورة الإسلامية، وأنه ينبغي دعم هذه الجبهة بكل قوة، وعلى هذا الأساس فإن إيران ستدافع حتى آخر قطرة من دمها عن الثورة الإسلامية وحرية شعوب المنطقة.

إيران نسقت زيارة رئيس النظام السوري لموسكو:

تدعي طهران أن هذه الزيارة قد تم التنسيق لها مسبقاً من خلال لقاءات مستمرة، بمشاركة الطرف المحوري فى الأزمة السورية، المتمثل بإيران وحزب الله، وأن الأيام القليلة القادمة ستشهد تطورات عسكرية، سيكون لإيران دوراً محورياً في التخطيط والتنفيذ لها بعد أن قرر بوتين تعديل إستراتيجيات التعامل مع الأزمة السوريه، لتوفير كل ما تحتاجه المعركة ضد الإرهاب العابر للمنطقة من سوريه، إذ تعتبر طهران أن ذلك يعنى أننا سنكون أمام مرحلة عسكرية جديدة من حيث تعزيز عمليات سلاح الجو الروسي، وآليات عمله الميدانية، التى يفترض أن تلعب دوراً أساسياً فى مواكبة مباشرة لكل العمليات

البرية، والعمليات التي ستخوضها قوات خاصة ستتبنى أستراتيجيات جديده أكثر نجاعة من أي وقت مضى.

كذلك تدعي طهران أن القيادة الروسية، تأكدت من صحة التقديرات التى تشاركتها مع ايران، حول عجز المحور الآخر الذي يقاتل ضد نظام بشار الأسد عن القيام بأي عمل فعال على الأرض من شأنه رفع مستوى تنسيق المجموعات المسلحة ضد التحالف الخماسي ممثلاً بإيران، وروسيا، وسوريا، والعراق، وحزب الله، وتوقعت طهران أن يزور دمشق قريباً جداً، مسؤولون عسكريون واستخباريون روس ستكون مهمتهم انجاح العملية البرية والجوية الروسية بشكل أكثر فعالية، وقد بشرت طهران بجاهزية وحدات جديدة جرى تجهيزها خلال الشهرين الماضيين، لتولى مهمات عسكرية هجومية نوعية سيكون لها دوراً مؤثراً، بعد النجاح بإعادة هيكلية الجيش السوري التى تتناسب وطبيعة المعارك المقبلة.

تعزيز فرص الحل السياسي بما ينسجم مع مصلحة إيران: التركيز على خطاب الحفاظ على الدولة والنظام وليس شخص بشار الأسد

تحاول طهران كذلك الترويج بأن زيارة رئيس النظام السوري إلى موسكو تصب فى سياق تعزيز فرص الحل السياسى، ولمحت إلى أن إيران ترصد هاجس دول الاقليم التي فشلت سياسياً واستخبارتياً في إدراك أبعاد ونتائج دخول روسيا على خط الأزمة السورية، وهؤلاء- حسب الفهم الإيراني - لا يسعهم حتى اللحظة الإحاطة بكل الخطوات الروسية، مع ما تحمله من مفاجآت فى المجال العسكري والسياسي، و التي ستظهر بوادرها خلال الأيام القليلة القادمة، وبما ينسجم مع مصلحة إيران، وتعزيز نفوذها في المنطقة، والتي ستبرز معالمه من خلال العرض الروسى لبشار الأسد باختبار عملية سياسية جدية، تجيء بعد ثلاثة أسابيع من انطلاق العمليات العسكرية، التى لا تزال بحاجة إلى المزيد من الوقت لإحداث تغيير نوعى على خلاف ما طرحته إيران مسبقاً، من أن العمليات الغسكرية الروسية كانت فعالة ومؤثرة .

في رأي طهران فإن ما حدث من تطورات على مسار الوصول لتسوية سياسية يعكس قرار تثبيت التحالف القائم بين دمشق وحلفائها الإقليميين والدوليين، وهو تحالف يستهدف أساساً حماية الدولة السورية والنظام ومساعدة جيشها، ثم يستهدف خلق مناخات جديدة تتيح الذهاب نحو حل سياسى واقعي، يقوم على حقائق الأرض بعد دخول روسيه على الخط بقوة .

هذا عدا عن ترقب إيران لأهمية الدور العراقي المرتقب لمحاربة العصابات الارهابية في سوريه، حيث ركزت إيران على عملية مصادقة البرلمان العراقي للتوقيع على معاهدة للتعاون مع سوريه للقضاء على العصابات الارهابية، مما سيزيد الأمل في القضاء على العصابات الارهابية في العراق وسوريه في القريب العاجل، من خلال التعاون مع طهران.

رؤية إيران للحل السياسي للأزمة السوريه، وتحذير طهران لموسكو بشكل مبطن:

ترى إيران أن أي حل سياسي في سوريه، يجب أن ينطلق من ثوابت، أبرزها إقرار الطرف الآخر بأولوية مكافحة الإرهاب في سوريه على أي أمر آخر، وهو ما سيجعل البحث فى تفاصيل الملف السياسي غير ممكنة الآن في حال عدم اجتثاث الإرهاب، من خلال تدمير التنظيمات "التكفيرية" الذي قد يهدد إيران وأمنها القومي.

تؤكد طهران بأنه لا يجب توقع حل سياسي سحري، بمعزل عن تعزيز الجهود العسكرية على الأرض، حيث للميدان الكلمة الفصل، ولا سيما أن إيران كانت صريحة بما أعلنته من أن التسوية السياسية تنطلق بعد الانتهاء من مكافحة الإرهاب قي سوريه بشكل قاطع، لأن خلاف ذلك معناه أن الإرهاب سوف يصل لحدود إيران، ويهدد مصالحها في المنطقة خاصة في العراق، ولبنان، وأن إيران ستدفع ثمن ذلك، وبالتالي على الروس إدراك مخاطر أية تسوية في سوريه، وتداعيات أثرها على إيران.

الرسالة التي ينبغي أن تصل للروس بأن البحث في التسوية السياسية ينبغي أن يتركّز حسب رؤية إيران، وتحليلها سياسياً،

وعسكرياً وأمنياً، على عدد من البنود المحورية:

رؤية إيران المحورية بتقديم ضمانات حقيقية ببقاء النظام السوري، مع ملاحظة عدم تأكيد طهران على بقاء شخص بشار، بل النظام.

بقاء ملف مواجهة موحدة لتنظيم «داعش» والتنظيمات التكفيرية في سوريا والعراق على سلم الأولويات، واستمرار المضي في المعركة الفعالة ضدهم، حتى بعد التسوية السياسية؛ لأن الوقائع الميدانية أثبتت خطورة الموقف، الأمر الذي يتطلب عمليات منسقة على جانبي الحدود بين العراق وسوريه من خلال التعاون مع روسيا، وهنا يجب الانتباه إلى أن واشنطن وحلفائها يظهرون عدم الجدية والتردد في محاربة هذه التنظيمات، بذريعة أن النظام السوري هو المسئول عن وجودها، وبالتالي فإن إيران ستحصد أى تبعات نتائج ميدانية أو سياسية للمماطلة في ضرب الإرهاب في سوريه، وبالتالي فإن مصالحها في المنطقة ستكون في مهب الريح، خصوصاً بعد هجرة المزيد من العناصر الإرهابية، والذي تزامن بعد التدخل الروسي في الأزمة السورية، والتي من السهولة أن تصل للحدود الإيرانية، وللعراق ولبنان.

وضعت إيران استراتيجية مستقلة لمواجهة الإرهاب في العراق وسوريه، إلا أنها لا تمانع في قيام شراكة مع التحالف الدولى، ومع روسيا تحديداً لاستمرار تحقيق هذا الهدف المهم والمحوري للحفاظ على المصالح الإيرانية في المنطقة.

الحديث عن الحل السياسي والجدول الزمنى، والضمانات الضرورية العربية والدولية لرعاية ومواكبتها للمرحلة الانتقالية، لها تداعياتها الخطيرة إذا لم تراعي مصلحة إيران، لأن دخول سورية في المرحلة الانتقالية سيفتح الباب أمام حلول ومشاريع جديدة سيتم اقتراحها في لبنان، العراق، اليمن....، لهذا يجب الوقوف على كل التفاصيل الدقيقة بعناية فائقة، وتعزيز قدرات إيران الدبلوماسية والاستخباراتية على رصد المواقف تجاه ما يجري في سوريه، وتحليلها أولاً بأول.

النتيجة أن دولة ولي الفقيه باتت متأكدة تماماً بأنه ينبغي عليها التفكير، ووضع مختلف السيناريوهات ليس فقط لمرحلة ما بعد الأسد، بل لما بعد ترك روسيا لإيران وحلفائها يواجهون مصيرهم المحتوم بأنفسهم، بعد قرار بوتين المرتقب بقرب الانسحاب من الأزمة السورية، ووقف عملية استنزاف قواته هناك، لكن بعد الوصول إلى تسوية سياسية تضمن لبوتين حفظ ماء وجهه الملطخ بدماء الشعب السوري.

مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية

المصادر: